الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحفيظ بوصوف – ميلة-
كلية الحقوق

محاضرات الاقتصاد السياسي

السنة الأولى جذع مشترك

2025/2026

المحاضرة السادسة

المدرسة الكلاسيكية

المدرسة الكلاسيكية

شهد علم الاقتصاد طفرة كبيرة منذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وبالتحديد في إنجلترا مع ظهور أفكار المفكر الاقتصادي "آدام سميث"، الذي وضع أولى الخطوات التي ساهمت في بناء علم الاقتصاد الحديث. وقد شكل آدام سميث مع مجموعة من المفكرين الآخرين أمثال "دافيد ريكاردو" و"جون ستيوارت ميل" و"توماس مالتوس"، ما يسمى بالمدرسة التقليدية (الكلاسيكية)، والتي عملت على تحليل المبادئ التي تحكم النظام الرأسمالي تحليلا دقيقا، وكذا التنبؤ بمستقبل هذا النظام. وقد ساعد على ذلك المركز الخاص الذي كانت تحتله إنجلترا في ذلك الوقت، فقد كانت على رأس الدول الصناعية ووضحت فيها أكثر معالم النظام الرأسمالي.

عوامل ظهور المدرسة الكلاسيكية

من خلال ما يلي يمكن توضيح أهم العوامل والظروف التي ساهمت في نشأة المدرسة الكلاسيكية:

الثورة الصناعية وبروز الرأسمالية الصناعية:

أدى ظهور الثورة الصناعية في إنجلترا منذ منتصف القرن الثامن عشر وانتشارها لباقي دول أوروبا؛ إلى تغير العديد من المفاهيم الاقتصادية في ذلك الوقت، كما أصبحت الصناعة تحتل مكانة هامة في الحياة الاقتصادية، وأخذت معها أفكار وممارسات التجاريين تتلاشى تدريجيا، بحيث فقدت المركنتيلية صلتها بالواقع ولم تعد تعبر عن المرحلة الجديدة، وبدأت تحل محلها أفكار وممارسات جديدة تهتم أساسا بالانتاج، وبذلك تطورت الرأسمالية التجارية التي صاحبت ظهور المدرسة التجارية إلى شكل جديد عرف بالرأسمالية الصناعية مع منتصف القرن الثامن عشر.

تغير مفهوم الإنتاج:

ادى انتشار الثورة الصناعية في أوروبا واستخدام الاختراعات في الانتاج الصناعي والزراعي؛ إلى إحداث **زيادة هائلة في إنتاج السلع والمنتجات**، بحيث أصبح **الشكل العيني** للثروة هو الأساس وليس الشكل النقدي لها، وبالتالي بدأت المفاهيم المتعلقة بالنتاج والثروة بالتغير تدريجيا، فبعد أن كانت الأرض هي المصدر الوحيد للناتج الصافي حسب الطبيعيين، والنقود المعدنية هي أساس الثروة والقوة حسب التجاريين؛ أصبح الانتاج الناجم عن العمل هو مصدر الثروة والذي يمكن أن يتحقق من مصادر متعددة أهمها الصناعة.

وبهذا زاد الاهتمام بالانتاج الصناعي مما حتم على الفكر الاقتصادي مسايرة هذا التسارع الكبير في انتشار الرأسمالية الصناعية وهيمنتها على الحياة الاقتصادية في إنجلترا خاصة وباقي أوروبا عامة.

تركز عوامل الإنتاج وتضخم الجهاز الإنتاجي:

نتيجة لانتشار استخدام الآلات والمكائن في أوروبا، تركزت عوامل الانتاج في الصناعة فسميت بمرحلة الرأسمالية الصناعية، وتوفرت اليد العاملة من خلال هجرة السكان من الريف إلى مراكز المدن الصناعية بحثا عن مناصب للعمل، وتضخم معها الجهاز الانتاجي في الصناعة فظهر الميل نحو إقامة مشاريع إنتاجية كبيرة تحل محل الصناعات الصغيرة، كل هذا أدى بالفكر الاقتصادي في هذه المرحلة إلى إعادة النظر في المفاهيم الاقتصادية السابقة، لاسيما ما تعلق بالصناعة ودورها في النشاط الاقتصادي وكذا عوامل النتاج، فظهرت المدرسة الكلاسيكية التي احتوت مختلف هذه الأفكار الاقتصادية.

الانفصال بين طبقة الرأسمالي وطبقة العمال:

بداية من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، انقسم المجتمع الأوروبي كنتيجة للثورة الصناعية إلى طبقتين هما: **طبقة أصحاب رؤوس الأموال** والمشروعات النتاجية، **وطبقة العمال** الذين يعيشون على بيع مجهودهم كسلعة من السلع الأخرى. وفي هذه المرحلة اعتبر المنتجون وأرباب العمل أن تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي؛ ضع القيود على النشاط الاقتصادي ويعرقل تصريف المنتجات في الداخل والخارج، ومن ثم يضعف فرص الربح، لذلك كانت مصلحتهم في تحقيق أمرين هما:

- إلغاء كافة القيود التي تفرضها الدولة على النشاط الاقتصادي في المبادلات الداخلية والخارجية، وحصر مهمة الدولة على حفظ الأمن الداخلي والخارجي والقضاء؛

– عدم تكوين تكتلات اقتصادية لا بين المنتجين ولا بين العمال وإنما ترك النتاج والمبادلات جميعا لنظام المنافسة الكاملة

وفرة رؤوس الأموال:

أصبح النشاط الصناعي في أوروبا خلال الثورة الصناعية من أهم الأنشطة الاقتصادية، وتطورت معه رؤوس الأموال وأخذت طابعا أقوى وأكثر استقلالية عن الدولة. وقد توفرت رؤوس الأموال للمنتجين وأرباب العمل من البنوك والتجار وفوائض القطاع الزراعي، وهو ما ساهم في تراجع النظرية المركنتيلية في النقود والفائدة.

الثورة العلمية:

بدأت الثورة العلمية في أوروبا مع كتابات إسحاق نيوتن وغاليليو بخصوص حركة الكواكب والجاذبية، بالضافة إلى ظهور تيارات فكرية جديدة في شتى العلوم، وهذا ما انعكس على تحليل الظواهر الاقتصادية التي تأثرت بفكرة القانون الطبيعي. ساهمت الثورة العلمية في ظهور تيار فكري جديد أعمق من ناحية التحليل العلم والتأصيل النظري للقوانين الطبيعية والظواهر الاقتصادية، ألا وهو التيار الكلاسيكي على يد مؤسس علم الاقتصاد الحديث آدام سميث.

المبادئ العامة للمدرسة الكلاسيكية

يمكن القول أن أهم المبادئ التي اتفق عليها رواد المدرسة الكلاسيكية تتمثل في:

الفرد هو الوحدة الرئيسية في النشاط الاقتصادي:

يرى الكلاسيك أن الفرد هو الوحدة الرئيسية في النشاط الاقتصادي ويحركه في ذلك مصلحته الشخصية، حيث أن الفرد يخضع في قيامه بالنشاط الاقتصادي لدافع المصلحة الخاصة التي تتمثل بصفة أساسية في الحصول على أكبر منفعة شخصية ممكنة، وكنتيجة لذلك تتحقق المصلحة العامة،كما أشار إلى ذلك مفهوم اليد الخفية لآدام سميث، حيث يرى أن الأفراد في سعيهم لتحقيق مصالحهم الخاصة يحققون؛ ودون أن يشعروا؛ المصلحة العامة، فالمصلحة العامة ليست سوى مجموع المصالح الخاصة.

النشاط الاقتصادي يخضع قوانين طبيعية:

اعتقد الكلاسيك بوجود قوانين طبيعية تحكم النشاط الاقتصادي، ورأو ان مهمة الاقتصاديين تنحصر في البحث عن هذه القوانين، وهي الفكرة التي سادت عند الطبيعيين من قبل، فقد كانت الفلسفة الكلاسيكية تقوم على الاعتقاد في سلامة وكفاءة النظام الطبيعي، وأن السلوك النسان يخضع لست بواعث هي: حب الذات، التعاطف، الرغبة في الحرية، الحساس بالملكية، عادة العمل، الميل للمبادلة.

اما الاختلالات التي تظهر في السوق من حين لآخر إلا نتيجة لجهل النسان بقواعد عمل هذا النظام وقوانينه الطبيعية. وقد مهد تمسك الكلاسيك بهذه الفكرة الطريق لظهور ما بات يعرف باقتصاد السوق الحر.

الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة:

يرى الكلاسيك بأن الحرية الاقتصادية هي الدعامة الأساسية التي يقوم عليها النظام الرأسمالي، وهي تشمل حرية التجارة الداخلية والخارجية، حرية التملك، حرية مزاولة أي نشاط اقتصادي من طرف الأفراد وحرية التعاقد.

ويبرر الكلاسيكيون تبنيهم لسياسة الحرية الاقتصادية وتأييد النظام الرأسمالي، إلى كونه نظاما طبيعيا يستجيب للخصائص الطبيعية الموجودة في النفس البشرية من حب التملك وتفضيل الحرية والسعي وراء المصلحة الشخصية، إضافة إلى كونه النظام الأقدر على إنتاج الثروة والأسرع في تحقيق الازدهار، لأنه يدفع الأفراد لبذل أقصى طاقاتهم للإنتاج. ولهذا طالب الكلاسيكيون ألا تتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي.

الإنتاج مصدر الثروة:

اعتبر الكلاسيكيون أن الثروة الحقيقية تتمثل في إنتاج السلع والخدمات لا في كمية النقود التي يمتلكها الفرد، حيث عرفوا الانتاج على أنه خلق المنافع أو زيادتها، وتتمثل عناصر النتاج حسبهم في الأرض والعمل ورأس المال، لكن العمل هو العنصر الرئيسي، وبذلك نجد أن الكلاسيك ثمنوا الأنشطة الاقتصادية كافة من زراعة وصناعة وتجارة، كما اعتبروا أن المنتج الحقيقي للثورة هو العمل البشري، أي أن المصدر الحقيقي للثروة هو النتاج الناجم عن العمل النسان.

الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج:

اعتبر الكلاسيكيون الملكية الخاصة لوسائل النتاج هي أساس التملك، وأنها حق مقدس للإنسان وهبته إياه الطبيعة، ورأوا أنه لا يوجد تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، إذ أن الفرد عندما يسعى لتحقيق مصلحته الشخصية فإنه سيحقق المصلحة الجماعية، لذلك لا ينبغي على الدولة التدخل في توجيه الأنشطة الاقتصادية أو الحد من الملكية الشخصية

حيادية النقود:

عتبر الكلاسيك أن النقود مجرد وسيط للتبادل وأداة لقياس القيم، وبالتالي فالنقود وسيلة وليست غاية، فالغاية حسبهم هي الحصول على السلع والخدمات لاستهلاكها وتحقيق المنفعة أو استثمارها لجمع الثروة. ومن هذا المنطلق فإن الطلب على النقود يكون لتمام المعاملات التجارية فقط. وهنا نلاحظ أن الكلاسيك قد أهملوا دور النقود كمخزن للقيمة وحفظ المدخرات،كما بنوا تحليلهم للنقود على افتراض حيادية النقود، أي أن النقود ليس لها تأثير على المتغيرات الاقتصادية وعلى تحقيق التوازن الاقتصادي، ذلك أنها لا تؤدي سوى وظيفة واحدة وهي وسيلة للمبادلة.

اسهامات أدم سميث:

يعد الاقتصادي الاسكتلندي آدام سميث 1723-1790أول من كتب في النظرية الاقتصادية، من خلال مؤلفه الشهير "بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم" الصادر سنة 1776، لذلك اعتبره الكثيرون مؤسس علم الاقتصاد الحديث. ويحتوي هذا الكتاب على أفكار آدام سميث في النظرية الاقتصادية، وقد بنيت عليه النظرية الكلاسيكية. ونتطرق فيما يلي لأهم الأفكارالاقتصادية عند آدام سميث

موضوع علم الاقتصاد هو علم الثروة: :

فأهم فكرة طرحها ادم سميث هو تحديده موضوع علم الاقتصاد الذي حدده في طبيعة وأسباب ثروة الأمم، حيث يقول سميث بأن الاقتصاد السياسي يهدف إلى اغناء الشعب والدولة على حد سواء، ويتضمن ذلك تحقيق دخل وفير أو وسائل معيشة وفيرة للشعب و تحقيق دخل كاف للدولة والمجتمع من أجل الحاجات الاجتماعية.

وعليه يرى ادم سميث أن الثروة هي مجموع الأموال المادية التي تصلح لإشباع الحاجات البشرية والتي يحصل عليها الإنسان من عمله مباشرة أو بالمبادلة، والثروة السنوية للدولة هي مجموع الأموال المادية التي أنتجها أفرادها بعملهم المشترك مباشرة أو بمبادلة قسم من عملهم بنتاج عمل الأمم الأخرى، ويبدو هنا جلياً انفصال سميث عن كل من المركلنتيليين والفزيوقراطيين

تقسيم العمل:

قام آدام سميث بدراسة ظاهرة تقسيم العمل، وبين كيف أن تقسيم عملية إنتاج سلعة ما إلى عدة عمليات جزئية يقوم بكل منها شخص متخصص، سوف يؤدي إلى زيادة إنتاجية العمل النسان، وذلك بسبب ما يترتب على تقسيم العمل من رفع درجة إتقان العامل لعمله، وبالتالي؛ حسب آدام سميث فإن تقسيم العمل يؤدي إلى نمو كبير في العملية النتاجية برمتها، وإلى زيادة براعة العاملين ومهاراتهم في عملهم، ويعود بالرفاهية على المجتمع ويساعد على زيادة دخل الأفراد وادخاراتهم مما يؤدي إلى سرعة تكوين الرأسمالي وزيادة ثروة الأمة.

نظرية القيمة:

ميز آدام سميث بين معنيين مختلفين للقيمة هما: القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية:

القيمة الاستعمالية: هي نفع الشيء للإنسان، بمعنى أن الشيء يكون ذا قيمة استعمالية، متى كان موضع رغبة، وتتوقف القيمة الاستعمالية على المظهر والخصائص الطبيعية للأشياء واستعمالاتها، وهي لا تدخل في المبادلة ولا علاقة لها بها.

القيمة التبادلية: هي القوة الشرائية للسلعة أو قوة إبدال نفسها بسلعة أخرى، بمعنى الشكل الذي تتخذه القيمة المتضمنة في البضاعة وتعني إمكانية مبادلة الشيء الذي نملكه بأشياء لا نملكها.

وقد ركز على القيمة التبادلية، حيث تتحدد المبادلة لأي سلعة على أساس العمل الذي تحتويه، أي على أساس عدد ساعات العمل التي بذلت في إنتاجها، وبذلك انتهى إلى أن العمل هو أفضل مقياس يمكن أن نعبر به عن القيمة. ثم بعد ذلك قدم نظرية التكلفة، ثم انتهى بتحديد قيمة السلعة استينادنا للسوق (عرض وطلب).

الربح والفائدة:

يرى سميث أن الربح هو مجرد اقتطاع من دخل العمل، وهذا يتوافق مع نظريته في القيمة التي يرى أنها كمية العمل المبذول في العملية النتاجية، واعتبر أن الفائدة مقبولة اجتماعيا، وموقف سميث هذا من الفائدة يعد تغيرا جوهريا في النظرة للربا، حيث اعتبر الربا اقتطاعا من الدخل الذي يولده العمل وبرر حصول رجال الأعمال والصيارفة على الربح والفائدة، بأن الحكم على الناس يكون على أفعالهم وليس على نواياهم، وأنه إذا توفرت البيئة المناسبة يمكن لأصحاب النوايا الأنانية أن يعملوا لصالح العامة بدون وعي منهم.

كما يرى سميث إلى أن الأرباح تتجه إلى الانخفاض على المدى الطويل مع التقدم الاقتصادي، فزيادة رأس المال والمنافسة بين المنتجين تؤدي إلى تخفيض الربح في الأجل الطويل

التوزيع:

يرى الكلاسيك وعلى رأسهم آدام سميث أن الموارد الاقتصادية (عوامل النتاج) تعمل عند مستوى التشغيل الكامل، أي أن الناتج الكلي ثابت، والمشكلة تكمن إذا في كيفية توزيع هذا الناتج على مختلف عوامل النتاج التي ساهمت في إنتاجه. وهنا لم يهتم الكلاسيك بالتوزيع الشخصي للناتج الكلي أي توزيعه على أفراد المجتمع، بل بالتوزيع الوظيفي أي توزيع الناتج الكلي على عناصر النتاج المختلفة من عمل وأرض ورأسمال،كل على أساس وظيفته في النتاج دون الاهتمام بالأفراد ذاتهم.

على هذا الأساس يتم توزيع عوائد النتاج أو الناتج الكلي بدفع الأجور للعمال، والريع لأصحاب الأراض، والربح للرأسماليين (الصناعيين)، ويتم التركيز على زيادة أرباح رأس المال لأنها الأكثر قدرة على توليد استثمارات جديدة وزيادة تراكم رأس المال